* المحـــاضرة الأولى: نشأة السينما

تمهيد :

السينما فن حديث و نشاط إبداعي يحاكي واقع الإنسان بكل ت فاصيله الدقيقة ، و جوانبه الاجتماعية والثقافية والاقتصادية ، من خلال ما تقدمه من تصوير للحياة البشرية بكل ، حركاتها وسكناتها، إذ استطاعت في فترة وجيزة من الزمن ، أن ترسم لنفسها مسارا منفردا قُدّر له أن يخلق مساحة أخرى لخطاب جديد يخضع لآليات حداثية تتماشى وتكنولوجيا العصر ، ضاربة بذلك – السينما – القواعد الفنية الكلاسيكية عرض الحائط لبعض الفنون الشبيهة بها ، كالرواية والمسرحية، التي كانت تستند على الشخصيات والزمان والمكان، وقد تمكنت السينما أن تشغل هذا الحيز المرموق من حيث شكلها ومضمونها بفضل صدق تعبيرها وتناولها للتجارب الإنسانية في العالم فأضحت بذلك مرآة عاكسة لصورة الإنسان في شتى مراحل حياته.

" المعروف أنّ أغلب نقاد ومؤرخي السينما قد اتفقوا على أنّ التاريخ الرسمي لميلاد السينما هو اليوم الذي عرض فيه الأخوان الفرنسيان أوجست ولويس لوميير أفلامهما الأولى في مقهى الجراند كافيه بباريس ، وهو يوم 28 ديسمبر 1895 .

وقد شاهد المتفرجون في ذلك العرض عشرة أفلام، طول كل منها لا يتجاوز خمسين قدما ويستغرق عرضه ما بين دقيقة ودقيقتين، وكانت كلها أفلاما إخبارية تسجل أحداثا واقعية عادية..."[1]

وكان ذلك نتيجة للجمع بين ثلاثة مخترعات سابقة هي اللعبة البصرية، والفانوس السحري، والتصوير الفوتوغرافي، حيث عمل الإخوة لوميير على تصوير أفلامهم الأولى والتي كانت بمثابة القاعدة الأولى للفن السينمائي ، تمثّلت أساسا في الأفلام التسجيليّة ، و الّتي صُوّرت لأوّل مرة في أنحاء مختلفة من العالم ، منها الجزائر على سبيل المثال ، وهذه بعض من أفلامهم : - (La Sortie de l'usine Lumière à Lyon الخروج من مصنع لوبير في ليون 46 ثانية) .

- (Arrosé *Le Jardinier l'Arroseur* البستاني 49 ثانية) .

- وصول القطار إلى محطة لاسوت (L'Arrivée d'un train en gare de La Ciotat.

وقد سبق هذه التجربة ، العديد من المحاولات والاختراعات في أنحاء مختلفة من العالم كان أبرزها جهاز **السينماتوغراف** للإخوة لوميير و **الكينتوسكوب** لأديسون و **الايدولوسكوب** في أمريكا و **البوسكوب** في ألمانيا **والزوتروب** و**البراكسينوسكوب** و **الفيناكيستسكوب** وغيرها من الأجهزة

---

1 – محمود سامي عطا الله : تاريخ موجز لصورة متحركة – السينما .. شابة عمرها مائة عام ، مجلة العربي – العدد 439 – يونيو 1990 م ، ص : 63.

و المخترعات التي أدهشت المتفرج للوهلة الأولى وأخذت بلب عقله وجعلته يعيش في جو من السحر والروعة والجمال.

تميزت السينما عن باقي الفنون الأخرى منذ نشأتها وقد ميّزها هذا التوالد السريع والمتجدد في حركيتها الدائمة وفق آليات وتقنيات مبتكرة جعلت منها بحق فنّا يجمع بين الإبداع والصناعة ، إبداع من حيث معالجتها لواقع الإنسان وكشف أسراره الغامضة في حياته النفسية الباطنية موغلة في تفسير الذات البشرية وما يكتنفها من صراعات من خلال إظهار الصورة الحقيقة لأحلامه وخيالاته من جهة، ومحاكاة مصائره بشيء من الانبهار والعجائبية في ماضية وحاضره ومستقبله من جهة ثانية .

وقد كانت في أوّل أمرها تصويرا فوتوغرافيا للواقع ، تستقي مادتها من الطبيعة شأنها في ذلك شأن الفنون الأخرى إلاّ أنّها اختلفت عنها في أسلوبها المبهر في حركتها وانتقال صورها من الثابت إلى المتحرك ، هذا ما أدهش الجمهور وأثار إعجابه وجعله في دوامة يتساءل ويستفسر عن مفهومها وماهيتها ، في حين أضحت السينما شكلا فنيا خالصا له مدلولاته ودلالاته طبعا بالتآلف مع الفنون الكلاسيكية الأخرى وهو أمر كان محتوما في بداية الأمر.

" فالسينما إذا ، عندما كانت صامتة لا يعني أنّها لم تكن تصوغ إرسالية ، أو لم تكن تتواصل مع المتلقي ، بل كانت تبعث إرساليات عبر لغة بصرية واضحة تماما " 1

إنّ جاذبية الصورة السينمائية لا مثيل لها في الفنون الأخرى بحيث أنها صورة تنبض

---

1 – العلوي لمحرزي ، المقاربة النّقدية للخطاب السينمائي بالمغرب ، منشورات سايس مديت ، ط1 ،2007 ، ص : 161 .

بالحياة في الزمان والمكان بواسطة الحركة التي تعكس عمق الإحساس والوعي لدى المتفرج ,لذلك فالسينما بحركيتها الدائمة عكس الصورة الثابتة تعطينا انطباعا غريبا عند نقلها ومحاكاتها للصورة الواقعية ,فتعرضها بكل تفاصيلها وأبعادها الموجودة في الواقع وفق تدفق مدروس آنفا من قبل المخرج.

تتنوع الأشكال السينمائية بين الأفلام التسجيلية الوثائقية التي تسلط الضوء على وقائع وحقائق حقيقية و الأفلام الروائية التي تروي قصصًا خيالية أو واقعية، ، والأفلام التجريبية التي تعبر عن تجارب فنية ومفاهيم فلسفية ، و النفسية التي تعكس مشاعر و أحاسيس الإنسان بكلّ تفاصيلها وبفضل هذا التنوع، تعتبر السينما وسيلة متعددة الاستخدامات للتعبير الإبداعي، حيث تستطيع أن تعكس تجارب وثقافات مختلفة وتحاكي الحياة بكافة تفاصيلها وأبعادها.

" تؤرخ الصورة لعالم صار فيه كل شيء بصريا أو يتجه إلى أن يكون بصريا... ، إنّ الصورة في عالم اليوم مطلقة الحضور إن لم نقل هي الحضور ذاته... إذا حاولنا رصد عصور العالم فيمكن القول بثلاثة عصور: عصر الكتابة، وعصر الطباعة وعصر الصورة، ويمكن تلخيصها في الانتقال من النسخ إلى الاستنساخ." 1

---

1 – معزوز عبد العالي ، فلسفة الصورة . الصورة بين الفن والتواصل . أفريقيا الشرق ، الدار البيضاء ، دط ، 2014 ص : 212